أسس الحكم الشوري الموسع في الإسلام

الحلقة العشرون

نظام الحكم الأثيني (II)

2.3) قواعد الاستبداد

2.3.1) الثورة الشعبية ل "بيسيستراتوس الأثيني"

انتحل زعيم الثورات الأثينية: بيسيستراتوس الأثيني (Peisistratos of Athens) (605 ق.م - 527 ق.م.) اسمه: "بسيستراتوس" من سميه الوارد في ملحمة "الأوديسة" (Odyssey) لشاعر الإغريق "هوميروس" (Ομοηρς) (صورة متخيلة لهوميروس في طابع بريدي إغريقي) 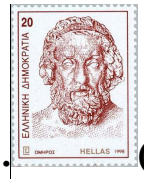

.

ولا عجب في هذا، مادام والد الرجل هو الفيلسوف والمعلّم "هيبوكراتساند" (Hippocratesand).

ولم يتولد طموحه في الاستيلاء على مقاليد الحكم في أثينا من فراغ، حيث خبر السياسة وخبرته، وكان صديقاً للحاكم الأعلى: "سولون" (Solon) (640- 561 ق.م.)

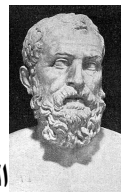

الذي ساعدَه في مساعيه، وقاتلَ بشجاعة أثناء غزو مدينة سلاميس (Salamis)،

سلامينا (μαΣαλην α) الحالية .

وعندما تَركَ سولون أثينا، أصبحَ بيسيستراتوس زعيم حزبِ الجبليين الريفيين الفقراء سنة 565 ق.م.

وقد قام بأول محاولة له للاستيلاء على حكم أثينا في سنة 560 ق.م.، حيث استولى مصحوباً بمجموعة من الحرّاس، على قلعة الأكروبوليس (Acropolis) في أثينا

(صورة لأطلال الأكروبوليس الحالية) (صورة متخيلة لها في عصرها)

، إلا أن حكمه لَمْ يُعمّر طويلاً، حيث سيتم طَرده مِن قِبل زعيمين آخرين وهما: "ميجاكليس" (Megacles) و"ليكورجوس" (Lycurgus) وآخرين مِنْ **حزبِ الساحلِ** في نفس السَنَةِ.

وسيعاودَ الكرة مرة أخرى في سنة 559 ق.م.، بمساعدة "ميجاكليس"، الذي إنشقَّ عنْ "ليكورجوس" وتَحالفَ مع بسيستراتوس بشرطِ أن يَتزوّج الأخير ببنت "ميجاكليس".

وسيعمل "ميجاكليس" على إقناع الأثينيين باستقبال بسيستراتوس استقبال الأبطال، لأن إلهة البلدة: "أثينا" هي من استقدمته.

وقد انطلت الحيلة على الأثينيين، حين دخل بسيستراتوس **أثينا** على عربة مصحوباً بامرأة متنكرة كربة البلدة: "أثينا" ، والتي لم تكن سوى بنت "ميجاكليس"!.

ولن يدوم تحالف الرجلين طويلاً، لأن بسيستراتوس رَفضَ أنْ يَكُونَ له أطفالُ مَع بنتِ "ميجاكليس"!. وهو ما أغضب الأخير، ودفعه إلى التحالف مجدداً مع ل "يكورجوس" لينجحا معا في نفِي بسيستراتوس ثانية سنة 556 ق.م. إلى جزيرة "يوبيا" (Euboea) 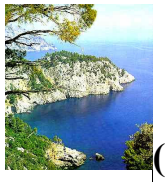 (موقعها باللون الأحمر على الخريطة) .

الجزيرة، التي سيمكث فيها زهاء العقد تقريباً، مشتغلا ومتاجراً في التعدين إلى أن صار غنياً يحسب له حسابه بين المترفين.

الغنى، الذي سيمكنه من تمويل جيش جديد في محاولة جديدة للاستيلاء على أثينا في سنة 546 ق.م.

وهو ما سيكلل بالنجاح هذه المرة، بدعم قوي من طرف "ليجداموس الناكسوسي" (Lygdamos of Naxos).

واعترافاً بالجميل، فسيكافئ بسيستراتوس عندما استتب له الأمر أخيراً في أثينا، بجعل "ليجداموس" حاكما مستبداً على مدينته: ناكسوس.

وقد عمل بسيستراتوس على تقوية مركزه السياسي بتقنين قوانين عقارية جديدةِ تنزع ملكية الأراضي من العائلات الأرستقراطية وتعيد توزيعها على الفلاحين المعوزين.

ولتلافي انقضاض حزب الأرستقراطيين عليه، كما حصل من قبل، فقد أبقىَ على قوة كبيرة مِنْ المرتزقةِ كقوة ضاربة، وأخذَ رهائن من أعدائه المحتملين.

و قد حافظ في الجانب التشريعي، على الأشكالَ الديمقراطية التي استنها سولون من قبل، وأضاف إليها قيوداً تضمن حصول أفرادِ العائلة على مناصب أعلى في هرمية دولته.

وقد قبل الأثينيون بحكمه لأنه تعهد لهم بحفظ النظام والقانون.

وقد تعامل المستبد الجديد مع الحاكم السابق سولون، الذي كان قد تَركَ أثينا لبَعْض

الوقتِ زار خلاله مصر والملك "كريزوس" (Croesus) ملك ليديا، الذي حكم خلال الفترة (560 ق.م - 547 ق.م.) وكان يضرب به المثل في الغنى.

ولَمْ يكن بسيستراتوس يجد غضاضة في استشارة سولون في بعض ما ينتابه من معضلات السياسة، كما لم يبخل الأخير بنصائحه عليه، مغلباً حسه الوطني كرجل دولة، على نوازعه الذاتية أو النفسية.

وهي أريحية عالية وسجية نادرة مِنْ العقلنة السياسيةِ إبانها، والآن، وفي كل وقت.

وقد توسعت أثينا في عهده في العمران وتوسع اهلها، كل بقدره، في الثروةِ، وتمتع عامة الشعب بمستوى رفيع من العيش.

وصاحب رغد العيش هذا وجود فراغ من الوقت استغله الأثينيون في تثقيف أنفسهم، إلى أن صاروا أعلم بكثير من أسلافهم.

2.4) استغلال الدين في السياسةِ

في سنة 548 ق.م، حل زلزال بمدينة أثينا دمر معبدَ أبولو (Temple of Apollo) في ديلفي (صورة لأطلال معبد الإله: أبولو بدلفي) .

وهو ما وجدت فيه عائلة "الألكمينيديين " (Alcmaeonids) الأرستقراطية {المنبوذة بسبب اللعنة الملتصقة بها منذ عهد جدهم: "ميجاكليس" بسبب غدره ب: "كيلون" وأصحابه، بينما كانوا تحت الأمان، أنظر الحلقة السابقة}، فرصتها الذهبية لولوج مسرح السياسة الأثينية من أبوابها الخلفية، بعد أن كانت قد صدت عنها الأبواب الأمامية، عملاً بالمثل العربي:

ومصائب قوم عند قوم مغانم،

فتعهدت بإعادة بناء المعبد ثانية، وجعله أكبر وأبهى مما كان.

ولم يحل بينهم وبين بلوغ مآربهم شيء، حتى أنهم لم يترددوا في إرشاء الكاهن وسيط الشيطان في ديلفي، الذي فرجح كفة العائلة ومال وجهتها.

وقد اعتاد بسيستراتوس طوال فترة حكمه، لتقوية مركزه السياسي، على مصادرة الأراضي مِنْ العائلات الغنية وتنفيلها إلى الفلاحين الفقراء.

وهي حيلة إرضائية لا زالت تجد لها قبولاً حتى في الديكتاتوريات المعاصرة، حيث تقوم الأخيرة، بمجرد استيلائها على الحكم، بتأميم ومصادرة الأراضي الفلاحية من الإقطاعيين القدماء وتعيد توزيعها على صغار الفلاحين، حال ما فعل المستبدان: **جمال عبد الناصر** (1918 م - 1970 م) 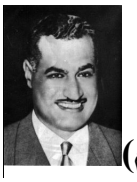 في أول الثورة ب مصر، وملك ملوك إيران، الشاه: **محمد رضا بهلوي** (1919 م - 1980 م) في إيران في ثورته **الموسومة زوراً وبهتاناً: ب "البيضاء"!** من بين آخرين، وأدت في كل مرة إلى انتعاش اقتصادي ملحوظ في دول تعتمد الزراعة كمحركة أساسية لعجلة الاقتصاد، أي: الدول التي تعمل باقتصاد الكفاف.

وهو ما لا يمكن تحقيقه في دولة صناعية معاصرة، حال الولايات المتحدة الأمريكية، التي يعتبر الإنتاج الزراعي فيها ثانوياً مقارنة مع الإنتاج الصناعي، والذي تتحكم الشركات الكبرى في كل مراحل الإنتاج، بدأ من تهجين البذور، وإعداد الأرض للحرث، والتسميد،... وإلى مرحلة تسويق الثمار، مكتفية بتحقيق ربح إجمالي في كل هذه المراحل مجتمعة، لا يتجاوز 4 % فقـــط.

وهو ما لا يمكن للزراعة التقليدية منافسة هذه الشركات فيه بحال!

قلت:

وتعتبر مدة حكم بسيستراتوس التي دامت 19 سنة (مِنْ سنة 546 ق.م إلى سنة 527 ق.م.)، الحقبة الأولى من العصر الذهبي الأثيني، حيث نجح في:

أ) تكسير قوَّةَ الأرستقراطيةِ،

ب) تقوية مؤسساتَ المدينة،
ت) تحسين الاقتصاد،
ث) التوسع في الأشغال العامة، مثل: بناء "الليسيوم" (Lyceum)، وإضافة معابد إلى عبادة المعبـــــوديين: أبولو وزيوس بالإضافة إلى نافورةِ فصولِ الربيع التسعة، وغيرها من المعالم.
ج) الإكثار من مظاهر اللهو وإشغال الأثينيين بالاحتفالات وبالمهرجانات الدينية الجديدة، مثل تلك المُكَرَّسة للمعبود ديونيسوس ، إله الخمر والخصوبةِ، المستوردَة عبادته مِنْ لبنان.

وهو ما نجد له نظائر حتى في العصر الحديث، حال ما درج على تكريسه:

أ) **طاغية وطاغوت وقته**: الحسن الثاني ، من خلال إحياء الشركيات القبورية والإكثار من مواسم موالد الأضرحة المصحوبة بكل أنواع الشرك والفسوق والفجور، بينما اقتصاد البلد يعاني من مأزق، استدعى تدخل البنك الدولي لإنقاذه من السكتة القلبية، بحسب تصريح هذا الطاغية نفسه، وحال ما استحدث وأضاف إلى هذه الطقوسيات القروسطية، المتهتكون الجدد من صبيان النظرية في عهد ابنه:

ب) محمد السادس من مهرجانات موسيقية لا أول لها ولا آخر، عملاً بتوصية بليدة من عميل مغمور للمخابرات الأمريكية ألف كتاباً لهذا الغرض [1]، بغية إلهاء الشباب وإبعاده، بحسب زعم

[1] العميل هو: تشيريل برنارد مؤلف كتاب: "الإسلام المدني الديمقراطي: شركاء، موارد، واستراتيجيات، منشورات راند كوربوريشن.
Cheryl Bernard, Civil Democratic Islam; Partners, Resources and Strategies. 2003.
أنظر ما قاله بخصوص التصوف ص. 62 حيث ينصح بتشيعه، بينما هو بدعة محدثة في الإسلام منتصف القرن الثاني الهجري في نصيبين بالعراق واستهجنها الإمام مالك والإمام جعفر الصادق في عصرهما. وحاربها كل المالكية بعد مالك، حال ما فعل: القاضي عياض، والطرطوشي، والشاطبي وغيرهم. ومن فرط تبعية النظام المغربي للتوصيات المخابراتية الأمريكية، فقد وزدته بوزيرها في

العميل، من التطرف الديني، بينما الاقتصاد المحلي المبني على الزراعة بالأساس، وريع السياحة، وريع العمال المهاجرين، يترنح في أزمة خانقة، بسبب الركود العالمي!

ولولا أن جادت السماء بمائها وملأت السدود بشكل استثنائي، لكان **المغرب قاب قوسين من قيامته على** الطريقة الإثيوبية، **التي جاءت على شكل موجة جفاف وقحط عامين حلا بالبلاد وأديا إلى مجاعة شاملة، استدعت تدخل الجيش للإطاحة بحكم الطاغية**

هيلاسيلاسي **(ت: 1395 هـ/1975 م) الذي حكم الحبشة بقبضة من حديد لمدة ناهزت الستين سنة.**

النهاية، التي لم تغب عن بال الطاغية الآخر: الحسن الثاني وأقضت مضجعه، وهو الذي يعلم أن الدولة العلوية **لم يأت بها المغاربة، ولا استشيروا فيها، وإنما، وبحسب ما صرح به الطاغية نفسه لأحد الصحفيين: الجراد** والجفاف والقحط، **الذي أتى على دولة السعديين قبلها وهي في أوج عصرها الذهبي يومها، فما أغنت عنها النذر!.**

فشد رحاله وذهب يستجدي ويستعطف الرئيس الأمريكي: جيمي كارتر **(ت: 1981 م)**

آملاً أن يمده بحل، بعد أن فقد رجاءه في الله، فلم يزد كارتر على أن أوصاه بالاستمطار الصناعي ضمن مشروع مشترك أطلق عليه اسم:

،

وما هو بحل!

ولولا لطف الله لفعلها الجراد مرة أخرى، على ما اعتاد ولقرون عديدة!

قلت:

الأوقاف، السيد التوفيق (غير الموفق) بعد أن دربته في الولايات المتحدة الأمريكية، ولقنته ما يجب عليه أن يقوم به، فامتثل هذا الأمي الأبله وأمضى ما أمر به.

وانظر ما قاله ص. 68 بخصوص الغناء وطالبان في أفغانستان.

وإن لم تكن نظرة المستبد الإغريقي: بسيستراتوس تختلف جوهرياً أو في العمق، عن نظرائه من المستبدين في الإمبراطورية الآشوريةِ المترامية الأطراف المعاصرة له، ولا في أي عصر من جهة الشكل والمضمون، فيسجل له ضمن سجل مفاخره، كما يطمح ويحلم كل مستبد أن يذكره التاريخ به: أنه أول من قام بإعداد الطبعات المكتوبة الأولى لملحمتي: الإلياذة والأوديسة للشاعر: هوميروس، اللتان ظلتا تنتقلان، وإلى زمنه، بشكل شفهي فقط أو في "مخطوطات" خاصّةِ.

قلت:

لاحظ كيف أن المواطن الأثيني العادي لم يتمكن من الحصول على تجربتِه السياسيةِ خلال عهدِ بيسيستراتوس (Pisistratus)، سوى لأن الأخير كان متطلّعا لامتلاك قاعدة شعبية.

لكن، بما أن الرجال:

أ) ظلوا يتأهلون للمناصب فقط على أساس ما راكموا من ثروة شخصية،

ب) وكون ثروة الأفراد بدأت تنتعش وتَرتفعُ،

فقد ترتب عن هاتين الخاصيتين أن عدداً أكبر مِنْ المواطنين تم إدراجهم تلقائيا لشغل مناصب في الحكومةِ.

ولما توفي بيسيستراتوس في سنة 527 ق.م. خلفه في منصبه ابنه: "هيبياس" (Hippias) الذي لم يكن يتمتع ببعض خصال والده، فاستاءَ منه العديد مِنْ الأثينيين، وخصوصاً بعد اغتيال أخيه: " هيبارخوس" (Hipparchus) في سنة 514 ق.م.، حيث سيصبح عصبيَ المزاج ومتشكك إلى درجة الهوس، وإن بدون جدوى، لأن أحد أعضاء عائلة الألكمينيديين وهو "كليستين" (Cleisthenes) رَشا الكاهن وسيط الشيطان في ديلفي، ليقوّله بأن على الإسبارطيين مُسَاعَدَة الأثينيين في التخلص من استبداد "هيبياس".

وهو ما تمت الاستجابة له بسرعة فائقة لأغراض في أنفس اليعاقبة، حيث قدم الإسبارطيون تحت قيادة أحد ملكيْهم وهو: "كليومين" (Cleomenes) الذي حكم خلال الفترة (520 ق.م. - 490 ق.م.) ودخل الأراضي الأثينية في سنة 510 ق.م.

وأمام هذا الخطر الماحق، لم يجد المستبد، رغم أنفه، هيبياس بداً من الفرار واللجوء إلى بلاد فارس، القوَّة الإقليمية العظمى لتلك الحقبة التاريخية، والتي ستكون قوتها المتعاظمة نذير شؤم بالنسبة لمستقبل كل المدن الإغريقية.

انتهى وتليه الحلقة الحادية والعشرون

نظام الحكم الأثيني (III)

الملكان المزدوجان لإسبارطة ويد كل منهما في حنجرة الآخر.